والصديق والغريب فكأنك بالقيامة وقد قامت على الخلق أجمعين. والأخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو إلا المتقين وإن كانت المحبة لله فستجمع بينكما عليين ونعيم
أنتم فيه خالدون وإن كانت المحبة لغير الله فالفراق الفراق قبل أن يغشاكم فراق
لا تلتقيان بعده أبدا آخره مع محبوبه لبشارتكم إذ لا بد من لقائه وإن كان من الأتقياء
نبعد أخاه وإن كان من الأشقياء وازداد مع ما يتوقع في هذه الدار من الفراق
والافتراق من الجفاء والضر وقلة الوفاء وكثرة الكدر وعدم الصفاء وتغيرهم
لريبة وتلونهم عليك وإساءتهم النكد وهجرهم إياك عند فوات الأغراض وما يلحق
قلوبهم من العلل والأمراض وقعت في شدة تخلوا عنك وإن وافقت زلة
نشروا وأمسك أحوال الشدة وأعز الضراء فارقتهم معروفة بالغنى وحسبهم
مشحونة بالعدوان فلما أنك مملوك وإن هالك مالك فما أخوك أخوك. وإن شككت
في شيء من هذا البيان فسبقهم لك يقينا عند الامتحان وإن ضعفت بك منهم
بالخ من أحوال الضعف. وآية ذلك أوحش من خلاف الوفاء وما رأيت فإنما هو الكمال
قال الله أصدق القائلين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين
فلا يغرنك بأهلها عن الجهاد فحسبك أو قريب فتماراقب فيما قبل المغيب ففي
وفاته الثواب العظيم وبان عنك الصديق الحميم وحرمت ماتهو ... من الزهادة
ونومت ولم ينفعك الندم على ما فات وفي الحديث أن جبريل عليه السلام قال
للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد إن الله يقول لك عش ما شئت فإنك ميت وأحبب
من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به فانظر ما اشتملت عليه
هذه الكلمات اليسيرة من ذكر الموت وفراق الأحبة والجزاء على الأعمال أيعز
هذا الإنذار إنذار أبعد ذلك العبرة لأولي الأبصار وإن قلت يفعل في منطقي
وجاهي الرفيع وعزي وحجابي المنيع. فليت شعري كم فارق منصبك مثل الذي
أن وصل إليك وكم زال الملك عن مغبطه فعسى به إلى أن حصل عليك وسيبقى
عنك كما عنهم بان وكأنك بذلك وقد كان فإذا أنت لفراقه ثكلان وقلبه مغمور

بالحسن

بالحسن وصدره معمور بالأحزان فلم يرع لك ما لاقت فيه من المنصب والجاه ولم ينفع
بما لاقت كالبدر من اضطراب النجاة وإنما علم من يتجرح من الناس وفي حل بعد الراحلين
مثل ملك أعظم ملكا من ملوك الدنيا وعشرة أمثاله معه أجمعين فما عسى بمن
يكون مع النار بغير دار أولى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين مع ما
لا يخفى عليك مما في المنصب من النصب والتعب وقلة العافية وسوء المنقلب ومما
تكتسب به من كثرة الأعداء والحساد وما اشتملت عليه بواطنهم من الضغائن
والأحقاد وشماتتهم بك عند زواله وتلهفك حزنا على ما فاتك من إقباله وزوال
أثر حشمتك وخدمك وإعراض من كان يهتم بتقبيل قدمك وقد روي أن في الجنة
بابا في الملك الكبير منشور من الذهب العظيم فيه مكتوب من الحي الذي لا يموت
إلى الحي الذي يموت يا عبدي أقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك تقول للشيء كن فيكون
وفي الحديث أن أدنى أهل الجنة منزلة من يقف على رأسه خمسة عشر ألف
خادم وإن أدنى لؤلؤة على رأس أحدهم لتضيء ما بين المشرق والمغرب وروى الترمذي وابن
حبان أن أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة وتنصب له
قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء واسمع قول الله عز وجل
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال الله
هذا ما تقر به العيون ولمثل هذا فليعمل العاملون وإن قلت يشق على فراق
قصري وشيده وبنائه المشيد وعلو محله وحسن فيه وخدمه وسروره ونعيمه
فليت شعري هل هو إلا بيت من طين وحجر وتراب ومدر وحديد وخشب وجبل
وقضبان لم يكن فيه قشرة فيه الغمامة وإن لم يبق فيما اشتمل إلا مدة وإن لم تتعاهد
بالبناء فما أسرع انهدامه وإن تعاهدته فما له إلى الخراب وعن قليل يصير خالٍ
ذا أثر إلى الخراب يتعجب منه الشكال ويتنقل عنه الغفلان ويعقولهم وينادي بمن
ويحيي رسمه وينسى اسمه وقد روي أن الله عز وجل لما أهبط آدم عليه السلام
إلى الأرض قال له ابن للخراب ولد للفناء وفي الخبر أن لله ملكا ينادي كل يوم لدوا للموت

Copyright © King Saud University